عقل الجماعة بلسان الإمام:
قراءة في النصوص التأسيسية

المقدمة

إنّ التراث الفكري الذي خلّفه الداعية حسن البنّا في فترة حياته القصيرة (نحو ثلاث وأربعين عاماً) هو شفهيٌّ بمعظمه، ويندرج في سياق الوعظ والإرشاد لعوامّ الناس، والتنظير والتخطيط لخواصّهم، فيما المسطور منه وهو الأقلّ يتوزع بين مقالات منشورة في صحف عامة أو تابعة للإخوان، أو كلمات أُلقيت في مؤتمرات الجماعة فضلاً عن الخطابات الرسمية التي أرسلها البنّا إلى مسؤولين سياسيين في مصر وخارجها، من باب الدعوة والنصيحة. أما (مذكرات الدعوة والداعية)، فهي الرواية الرسمية لسيرة حياته، ونشأة الإخوان، وأهم المراحل التي مرّت بها الجماعة، إلى منتصف المسافة الزمنية ما بين التأسيس والاغتيال، ولا تغطي المرحلة المضطربة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، ودور الإخوان في حرب فلسطين، والصراع الحاد مع الحكومات المتعاقبة، فيما يمكن اعتبار الخطاب الجامع الذي ألقاه البنّا عام 1939 في المؤتمر الدوري الخامس للجماعة، على أنه الحاوي لفكر الإخوان، وخصائص الدعوة، والأهداف المرسومة، والمواقف من المسائل المطروحة. وعليه، سيكون الخطاب المذكور، هو الأساس الذي تُستكمل جوانبه في هذا البحث باستشهادات من نصوص أخرى، بهدف استنطاق خطاب البنّا بما يُفضي إلى تكوين تصوّر متكامل عن فكر الجماعة.

وإلى نصوص البنّا، استند هذا البحث بشكل أساسي إلى كتابين متميزين بالمصادر التي رجعا إليها، والاستنتاجات التي توصلا إليها، وهما: كتاب (الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة) الصادر في

بيروت عام 1952، للدكتور إسحاق موسى الحسيني. فإلى جانب أنّ الباحث الفلسطيني معاصرٌ لنشأة جماعة الإخوان والأحداث التي مرّت بها، ويعتمد على مقالات البنّا وخطبه، كما على مصادر قريبة من مسار الجماعة قبل الاغتيال وبعده بقليل، فهو يتمتع بقدر من الموضوعية في تقييم الجماعة ومرشدها العام، وإن كان متأثراً بالتيار الليبرالي أثناء دراسته في مصر، وينتقد الجماعة في بعض اتجاهاتها الفكرية والعملية. أما الكتاب الثاني الصادر بالإنكليزية في بريطانيا لأول مرة عام 1998، بعنوان: (جماعة الإخوان المسلمين في مصر، صعود حركة إسلامية جماهيرية، 1928-1942)، فهو للباحث النرويجي برينيار ليا (Brynjar Lia)، الذي اعتمد على مصادر جديدة وفّرها له خاصة، جمال البنّا، شقيق مؤسّس الجماعة، ومما تتضمنه كتابات لقدامى الجماعة ومنشقين عنها، والنشرات الداخلية للجماعة بين الثلاثينات ومطلع الأربعينات، ومجموعة الرسائل التي بعثها البنّا الشاب إلى والده، وكذلك أرشيف الأمن المصري، ويدرس ليا السياق الاجتماعي والاقتصادي كما العوامل الثقافية التي أسهمت في نمو الجماعة وانتشارها في تلك الفترة.

النواة الأولى

تشكّلت المجموعة الأولى من حسن البنّا وبعض رفاقه، قبل سنوات من ظهور جماعة الإخوان المسلمين، حين كان الطابع دَعَوياً بحتاً من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت الرؤية عمومية ليس لها أي أفق تنظيمي واضح، بدليل أنّ نشوء الجماعة لاحقاً جاء استجابةً لطلب مباغت من بعض مريدي البنّا، وكذلك جاء الاسم عفواً، حسب ما تبوح به (مذكرات الدعوة والداعية) في أواخر حياة البنّا.

بدأت الدعوة قبل أن تتضح الفكرة التنظيمية، وفي الإسماعيلية كانت أول نواة تكوينية لها[1]. ولربما صيغت الأهداف المرحلية أثناء العمل،

(1) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، نص الخطاب الجامع في المؤتمر الدوري الخامس بمناسبة مرور عشر أعوام على تأسيس الإخوان المسلمين، مطبعة الاتحاد الشرقي بدمشق، دون تاريخ، ص6.

وتطوّرت مع تكاثر أعضاء الجماعة وأنصارها، والانتشار جغرافياً وصولاً إلى القاهرة نفسها. وما يعزّز هذه الفرضية ما طرأ من خلافات بين رفاق الدرب في مرحلة مبكرة[2]، أي منذ أن تبلورت معالم الجماعة ككيان مختلف عن سائر الجمعيات الإسلامية السابقة التي أسّسها البنّا أو شارك فيها[3]، وبما يجعلها تتخطى الإطار الدعوي والخيري التقليدي، إلى ما هو أشمل لمختلف وجوه الحياة دون استثناء.

والواقع أنّ الإسماعيلية أثّرت فيه تأثيراً بليغاً، وحَمَلَتْه على أن يُدخل في منهجه عنصراً سياسياً، قد يكون جال في خاطره سابقاً، ولكن لا يمكن أن يكون من القوة والرسوخ كما حدث لاحقاً. فالإسماعيلية كانت تضم المعسكر الإنكليزي، وإدارة شركة قناة السويس، مع استئثارها بالقيام على

(2) وقع الخلاف الأول في الإسماعيلية نفسها، موطن التأسيس، حين اختير الشيخ علي الجداوي وهو نجار نائباً للمرشد فيها، كذلك اعترض بعض الإخوان فيها على إرسال المال منها إلى فرع القاهرة بعد الاندماج هناك مع جمعية الحضارة الإسلامية التي يرأسها شقيق البنا، وإذا كان حسن البنا قد وصف ما جرى بالمؤامرة الأولى، فإن مصطفى يوسف أحد المنشقين يدلي برؤية مختلفة عن جمعية الإخوان المسلمين ودورها، حيث كان يراها جمعية خيرية تقليدية تعمل لخير المجتمع في الإسماعيلية، وتقدّم الوجهاء فيها لرئاستها من أجل تسهيل الحصول على التبرعات. انظر: حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، دون تاريخ، ص130-134.

Brynjar Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, The Rise of an Islamic Mass MOVEMENT 1928-1942, Ithaca, UK, 2010, P.60-67.

(3) تمرّس البنا بمختلف الجمعيات أثناء الدراسة، ففي المدرسة الإعدادية انتخب رئيساً لجمعية الإخوان الأدبية، وألّف مع جماعة من الطلاب جمعية منع المحرّمات، وتولى هو تأسيس جمعية إصلاحية باسم الجمعية الحصافية الخيرية وكان سكرتيراً لها، تيمناً بالطريقة الصوفية المعروفة التي كان ينتمي إليها. وفي أثناء إقامته في القاهرة طالباً في دار العلوم، ألّف فئة من الطلاب الأزهريين وطلاب دار العلوم للتدرب على الوعظ والإرشاد في المساجد والقهوات والمجتمعات العامة في القاهرة، وانشعبت منهم شعبة لنشر الدعوة في القرى والأرياف. ثم أراد جذب الفئة المتعلمة من دينيين ومدنيين، فأثمر مسعاه عن ظهور مجلة الفتح وجمعية الشبان المسلمين، الدكتور إسحاق موسى الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1952، ص15-16.

المرافق العامة، أي كانت معالم الاحتلال الأجنبي واضحة فيها، وكذلك نفوذه كما لم يكن في أيّ مكان آخر. لذلك يصحّ القول إنه أُضيفت إلى النزعة الصوفية الاجتماعية نزعة سياسية بارزة بحكم البيئة الجديدة، وهو ما لم يكن في حسبان البنّا خلال نشاطه وهو طالب، ولا في حركته في القاهرة، ولا في بدء حركته في الإسماعيلية(4).

[لعلّ من حسن صنع الله لهذه الدعوة أن تنبت في مدينة الإسماعيلية، وأن يكون ذلك على أثر خلاف فقهي بين الأهلين وانقسام دام سنوات حول بعض النقاط الفرعية التي أذكى فيها نار الفتنة ذوو المطامع والأغراض، وأن تصادف نشأتها عهد الصراع القوي العنيف بين الأجنبي المغتصب والوطني المجاهد](5).

حَذَر الكتابة

وقد يكون هذا الحال، ما دفع البنّا إلى الحذر من الكتابة وتفضيله العمل والانغماس فيه، فتحديد الأهداف في نصوص واضحة يضع حدوداً للحركة ويرفع مستوى المساءلة عليها، فيما يكون الوضع مختلفاً حين تكون الأهداف عامة ومرنة، تتمدّد أو تنحسر بحسب الظروف والضغوط. بل حين كتب مذكراته الرسمية (الدعوة والداعية) قدّم لها بتبريرات، منها عثور النيابة على مذكراته الخاصة غير المنشورة عام 1943، حيث لقي العَنَت في تفسير معاني كلماته، "في غير جدوى ولا طائل ولا موجِب إلا تحميل الألفاظ غير ما تحمل، واستنباط النتائج التي لا تؤدي إليها المقدّمات بحجة أنّ هذه هي مهمة النيابة العمومية باعتبارها سلطة اتهام"، ثم ضياع معظم هذه المذكرات، فكان هذا سبباً مباشراً لكتابتها مجدداً، خشيةً عليها من الضياع والنسيان، ومع ذلك، "فإن يكن الخاطر رحمانياً فالحمد لله، وإن يكن غير ذلك فأستغفر الله، ويقيني أنّ هذه الكتابة إن لم تنفع فلن تضرّ"، ثم يوصي "الذين يعرّضون أنفسهم للعمل العام، ويرَوْن أنفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة، فذلك أرْوح لأنفسهم وللناس، وأبعد عن

(4) المصدر نفسه، ص18-19.
(5) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص17.

فساد التعليل وسوء التأويل"[6].

[كنتُ أودُّ دائماً أن نظلّ نعمل ولا نتكلم، وأن نكِل للأعمال وحدها الحديث عن الإخوان وخطوات الإخوان، وكنتُ أحبُّ أن تتصل خطوتكم اللاحقة بخطوتكم السابقة في هدوء وسكون، ومن غير الفاصل الذي نحدّد به جهاد عشر سنوات مضت لنستأنف مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الدائب في سبيل تحقيق فكرتنا السامية. ولكنكم أردتم هذا، وأحببتم أن تُسعدونا بهذا الاجتماع الشامل فشكراً لكم، ولا بأس بأن ننتهز هذه الفرصة الكريمة فنستعرض برنامجنا، ونراجع فهرس أعمالنا، ونستوثق من مراحل طريقنا، ونحدّد الغاية والوسيلة، فتتضح الفكرة المبهمة، وتصحّح النظرة الخاطئة، وتعلم الخطوة المجهولة، وتتمّ الحلقة المفقودة، ويعرف الناس الإخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم من غير لبس ولا غموض][7].

وإذا كانت المذكرات الرسمية للبنا تمثّل مصدراً رئيسياً لتلمّس ظروف نشأة الجماعة واتجاهاتها الفكرية، باعتبار أنّ أثر البنّا فيها واضح وجليّ منذ نشأتها إلى أطوارها الأخيرة، وأنّ فهم شخصية البنا ضروري لفهم طبيعة الدعوة[8]، وأنّ الدعوة مَدِينة إلى شخصية البنا أكثر من أيّ شخص آخر، فهو الذي سهر عليها مدى عشرين عاماً، ووجّهها في الطريق الذي سلكته، وأضفى عليها من روحه وشخصيته، حتى أضحت أكبر حركة دينية في تاريخ الإسلام الحديث[9]، لكنّ حجم المذكرات ضئيل للغاية مقارنةً مع حجم الخطب والدروس والمحاضرات التي ألقاها (30 ألف خطبة خلال 17 عاماً ومثلها من الجلسات)[10]، وبما يملأ مجلدات عدة. وعلى هذا، فإنّ استعراض كل ما قاله البنّا لاستيعاب آرائه ورصد المتغيرات في الخطاب بحسب المراحل والظروف، يتجاوز هذا المقام، فضلاً عن أنها مهمة ليست سهلة.

(6) البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص11-12.
(7) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص1.
(8) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص41.
(9) المصدر نفسه، ص39.
(10) المصدر نفسه، ص55.

المؤتمر الخامس

وبما أنّ المطلب هنا، هو تظهير اللحظة التأسيسية للجماعة، من خلال خطاب البنّا، فإنّ الكلمة التي ألقاها في المؤتمر الدوري الخامس في ذكرى مرور عشر سنوات على تأسيس الجماعة، تبدو مفصلية من حيث التوقيت والمضمون، فما بين تأسيس جماعة الإخوان واغتيال البنّا، 21 عاماً تقريباً، ويأتي خطاب البنّا، في منتصف هذه المرحلة حين أصبحت الجماعة عنصراً مؤثراً في الشأن العام(11)، كما أنّ مضمون الخطاب يكشف ظروف التأسيس، والموقف من أهم القضايا المطروحة على الجماعة في ذلك الحين، قبل أن تدخل الدعوة من عام 1939 إلى 1945، وهي سنوات الحرب العالمية الثانية، طوراً جديداً، ربما جاز أن يُسمى بداية المحنة من حيث علاقتها بالسياسة، وبداية الازدهار من حيث النشاط وتحقيق برامجها الواسعة(12). وقد أَوْلى البنّا المؤتمر الخامس مكاناً بارزاً في مذكراته معتبراً إياه "موفّقاً للغاية في كل ناحية: في مظهره، في روحه، وإعداده، وكلماته، وقراراته"، كما "كان مظهراً رائعاً قوياً لانتشار الدعوة"، وألمّت كلمة البنّا "إلماماً وافياً شافياً بدعوة الإخوان: تاريخها وأهدافها وحكمها على الهيئات والأشخاص والحوادث"(13)، فكان المؤتمر أساسياً في وعي الجماعة لذاتها، ومحطة نوعية

---

(11) تضخّمت الجماعة من ثلاث شعب عام 1931 إلى أكثر من مائة شعبة عام 1936، فكانت جاهزة للتفاعل بقوة مع الوضع السياسي الجديد في مصر، وتأثيرات الانتفاضة في فلسطين ما بين عامي 1936-1939.

Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, P.53.

(12) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص25.

(13) قرّر المؤتمر الخامس تشكيل لجنة دستورية من أعضاء الجماعة لدراسة نصوص الدستور المصري والموازنة بينها وبين القواعد الأساسية في نظام الحكم الإسلامي، ثم العمل على إحلال النظم الإسلامية محلّ غيرها مما لا يتفق معها، وتشكيل لجنة علمية لوضع كتاب مختصر في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات الإسلامية، مدعم بالأدلة من الكتاب والسنة، بعيد عن مناحي الخلاف حتى يكون مرجعاً للإخوان لمن شاء، ولجنة خاصة لدراسة قضية طرابلس (الغرب) واتخاذ ما يمكن من الوسائل للمحافظة على كيانها العربي والإسلامي، (أثناء الاحتلال الإيطالي)، وتحية المفتي الأكبر لفلسطين والمجاهدين الكرام في فلسطين المباركة. البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص273-275.

في إدراك مغزى ما مضى، واستدراك ما سيأتي من أيام، وما كانت الجماعة تنوي عمله استكمالاً لما بدأ وانتشر، تحقيقاً للأهداف التي لم تكن واضحة ابتداءً في أذهان رفاق البنّا على الأقل، وراحت تتشكّل تدريجياً، يوماً بعد يوم، مع تنامي الجسم الإخواني الحثيث.

لقد كانت البدايات مفتوحة على النهايات، في تصاعد تدريجي للخطاب وصولاً إلى الصدام الحتمي مع السلطة، بعد مناوشات متكرّرة معها، أسفرت عن اعتقالات، وقبلها وبعدها، عن اغتيالات سياسية من الدرجة الأولى، هزّت أركان الحكم الملكي. وحين بلغت الجماعة مرحلةً لا عودة عنها، في ذروة القوة والنفوذ، وذروة الخطر كذلك على الكيان، مع ظهور نية الحظر الشامل عليها، من قِبَل الحكومة، لم يكن سهلاً على البنّا التراجع ولو خطوة واحدة تكتيكياً إلى الوراء. فالجماعة كبرت حتى لم يعد مجال لتصغيرها طوعاً، وعظُمت أهدافها حتى لم يعد بالمستطاع تجاهلها من القيادة والقاعدة على حدٍّ سواء. فكان لا مناص بعد ذلك من أن يكون لاغتيال البنّا عام 1949، أثرٌ جوهري في مسار الجماعة التي ستتابع مسيرتها متذبذبة صعوداً وهبوطاً، قياساً إلى الظروف المختلفة في كل مرحلة، وإلى اللحظة نفسها التي تركهم البنّا فيها، من حيث الخطاب ومستواه وأهدافه ووسائله. بل يبدو أنّ الخطاب اللاحق لن يتمكن من استلهام الخطاب الأول أو تجسيده تماماً، فيما يحاول التقرّب إليه ولا يلامسه، إلى أن جاء سيد قطب، من إطار فكري غير تقليدي، فوصل بالخطاب الإخواني، إلى مستوى غير مسبوق من الجذرية، حتى انصبّت جهود الجماعة بعد ذلك، على التخفيف من وطأته، إما تأويلاً له أو انتقاصاً منه، لاسترداد المسار من النقطة التي قبله[14].

(14) يقول الدكتور فتحي يكن في حوار خاص عام 2003: "لقد حُمل فكر سيد قطب على غير محمله، وصُوّر على غير صورته. واستُغل فكره بعد استشهاده ليكون قاعدة ارتكازية عقدية تقريباً أو فلسفية لهذه الحركات الإسلامية، وهو ليس كذلك. بالنسبة لي، كتبت الكثير مما أقوله الآن وهنالك عشرات الكتابات والدراسات حول هذا الموضوع كتبها رفاق له قياديون في مصر وفي غيرها، كما كتب العكس آخرون، إنما هناك العشرات الذين بينوا ما أشرحه من أنّ سيد قطب لم يكفّر المجتمع، ولم يدعُ إلى الخروج من المجتمع والانقضاض عليه بعد ذلك، لأنه يعتبر المجتمع مجتمعه، ويريد إصلاحه لا هدمه".

نشأة الإخوان

ولم تكن جمعية الإخوان المسلمون أول جمعية أسّسها البنّا، بل جاء تأسيسها في الإسماعيلية، عقب تأسيس جمعية الشبان المسلمين في القاهرة بنحو عام، حيث كان للبنّا روابط قوية مع بعض مؤسّسيها، بل انتسب إليها، وواظب على دفع الاشتراك لها، وألقى فيها أول محاضرة هامة له في القاهرة، بعنوان "بين حضارتين". وما بين 1928 و1929، نشرت مجلة "الفتح" له أكثر من 15 مقالاً[15]، وظلّ عضواً فيها حتى اغتياله، فلماذا تأسيس جمعية أخرى مشابهة في الاسم والهدف؟

لقد ضمّت جمعية الشبان المسلمين شخصيات بارزة في مجالات الثقافة والدين والسياسة بمصر، وكانت تحظى برعاية العائلة المالكة لا سيما الأمير عمر طوسون، واستفاد البنّا من معارف والده ليكون في صفوفها، حيث استثمر العلاقات التي أنشأها مع أعضائها، كما أسهمت مقالاته في مجلة "الفتح" في تعريفه إلى طبقة معينة من الناس[16]، لكن لم يكن ممكناً أن يحقق البنّا أحلامه من خلالها، فرغم تطابق الهدف، ثمة فارق في أسلوب الدعوة، وفي خطة العمل وتوجيه الجهود في كلا الجماعتين، بل كان الغرض والوسيلة مختلفين بين كلا الجمعيتين[17]، كما أنّ جمعية الشبان المسلمين محسوبة على الحزب الوطني المناوئ بقوة لحزب الوفد، ولم يكن البنّا ليقبل الانزواء في إطار حزبي يضيّق مجالات العمل، بل كان يعارض الحزبية، ويطالب بإلغائها في مصر، على غرار تجارب أخرى في العالم[18].

---

(15) البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص81.

Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, P.30.

(16) Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, P.29-30.

(17) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص5-6.

(18) أشار البنا غير مرة في خطبه ومقالاته إلى ما يحدث في إيطاليا وألمانيا وتركيا بأسلوب يدل على إعجابه ببعض مظاهر الحكم فيها، كإشارته مثلاً إلى أنّ تركيا استهلّت أعمالها بتوحيد القوى وإلغاء الأحزاب، وإشارته كذلك إلى دول أخرى كرومانيا والعراق وإنكلترا، في معرض إلغاء الأحزاب، دعماً لحجته في وجوب إلغائها في مصر، المصدر نفسه، ص6.

الإخوان والشبان

[كثيراً ما يتردّد سؤال على أذهان الناس: ما الفرق بين جماعة الإخوان المسلمين وجماعة الشبان؟ ولماذا لا تكونان هيئة واحدة تعملان على منهاج واحد؟ وأحبّ قبل الجواب أن أؤكد للذين يسرّهم وحدة الجهود وتعاون العاملين أنّ الإخوان والشبان وبخاصة هنا في القاهرة، لا يشعرون بأنهم في ميدان منافسة، ولكن في ميدان تعاون قوي وثيق، وأنّ كثيراً من القضايا الإسلامية العامة يظهر فيها الإخوان والشبان شيئاً واحداً وجماعة واحدة، إذ إنّ الغاية العامة مشتركة وهي العمل لما فيه إعزاز الإسلام وإسعاد المسلمين، وإنما تقع فروق يسيرة في أسلوب الدعوة وفي خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين، وإنّ الوقت الذي ستظهر فيه الجماعات الإسلامية كلها جبهة موحدة غير بعيد على ما أعتقد. الزمن كفيل بتحقيق ذلك إن شاء الله][19].

وإنّ مكوثه في القاهرة من أجل الدراسة، وما لمسه وشاهده من موجة الإلحاد والإباحية، زرع حافزاً قوياً في نفسه من أجل فعل شيء لمواجهته، لا سيما عقب الحرب العالمية الأولى، وإلغاء الخلافة في تركيا، حيث "اشتد تيار التحلّل في النفوس وفي الآراء والأفكار باسم التحرّر العقلي، ثم في المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرّر الشخصي، فكانت موجة إلحاد وإباحية قوية جارفة طاغية، لا يثبت أمامها شيء، تساعد عليها الحوادث والظروف"[20]. وكان لهذه الموجة ردّ فعل قوي في أوساط الأزهر وبعض الدوائر الإسلامية، وكان البنّا يُفضي بهذا الشعور إلى الأصدقاء الخُلَصاء من الطلاب في دار العلوم والأزهر والمعاهد الأخرى، وكان الحديث يتركّز في وجوب القيام بعمل إسلامي مضاد[21].

[ظلّت هذه الخواطر حديثاً نفسانياً، ومناجاةً روحيةً، أتحدث بها في نفسي لنفسي، وقد أُفضي بها إلى كثير ممن حولي، وقد تظهر في شكل

(19) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص59.
(20) البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص57.
(21) المصدر نفسه، ص58-59.

دعوة فردية، أو خطابة وعظية، أو درس في المساجد إذا سنحت فرصة التدريس، أو حثٍّ لبعض الأصدقاء من العلماء على بذل الهمة ومضاعفة الجهود في إنقاذ الناس وإرشادهم إلى ما في الإسلام من خير. ثم كانت في مصر، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، حوادث عدة ألهبت نفسي، وأثارت كوامن الشجن في قلبي، ولفتت نظري إلى وجوب الجدّ والعمل، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه، والتأسيس بعد التدريس...ولقد أخذتُ أفاتح كثيراً من كبار القوم في وجوب النهوض والعمل وسلوك طريق الجدّ والتكوين. فكنتُ أجد التثبيط أحياناً، والتشجيع أحياناً، والتريّث أحياناً، ولكني لم أجد ما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية...ولّيتُ وجهي شطر الإخوان والأصدقاء ممن جمعني وإياهم عهد الطلب، وصدق الودّ، والشعور بالواجب، فوجدتُ استعداداً حسناً. وكان أسرعهم مبادرةً إلى مشاركتي عبء التفكير، وأكثرهم اقتناعاً بوجوب العمل في إسراع وهمة، الإخوان الفضلاء: الأستاذ أحمد أفندي السكري، والأخ المفضال المرحوم الشيخ حامد عسكرية، أسكنه الله فسيح جنته، والأخ الشيخ أحمد عبد الحميد، وكثير غيرهم. وكان عهدٌ، وكان موثق: أن يعمل كلٌّ منا لهذه الغاية حتى يتحوّل العرف العام في الأمة إلى وجهة إسلامية صالحة. ليس يعلم أحد، إلا الله، كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلّل العلل والأدواء، ونفكّر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حدّ البكاء...وعمل الزمن عمله، فتفرّقنا نحن الأربعة: فكان أحمد أفندي السكري بالمحمودية، وكان المرحوم الشيخ حامد عسكرية بالزقازيق، وكان الشيخ أحمد عبد الحميد بكفر الدوار، وكنتُ بالإسماعيلية][22].

سافر البنّا إلى الإسماعيلية في 19 أيلول (سبتمبر) سنة 1927، إثر تخرّجه من دار العلوم العام نفسه، ليتسلّم عمله الجديد، وهو التدريس في مدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية. وفي هذه المدينة، وفي شهر آذار (مارس) 1928، وُلدت (جمعية الإخوان المسلمين) وقوامها ستة أشخاص من مريديه المخلصين، وهؤلاء خلاف حَمَلَة الفكرة الأولى الذين تفرّقوا في القطر

(22) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص4-6.

قبل ذلك[23]. وبالنظر إلى التجربة السابقة للبنّا في تأسيس الجمعيات الإسلامية أو المشاركة فيها، فإنّ جمعية الإخوان المسلمين، كما نضجت فكرتُها لديه، ما هي إلا الحلقة الأخيرة من سلسلة مترابطة، ولم تكن جمعية الشبان المسلمين، سوى النسخة قبل الأخيرة. ولما كان الإخوان المسلمون قد تميزوا بأنشطتهم المتنوعة الدينية والعلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية، فإنّ جمعية الشبان المسلمين قبلها، كانت اقتفت إلى حدٍّ كبير أثر جمعية الشبان المسيحية التي تأسست في القاهرة عام 1923، حيث تظهر بالإضافة إلى التشابه في الاسم، قرائن على وجوه شَبَه أخرى، مثل النصّ على عدم التدخل في المنازعات السياسية، واقتصارها على الشؤون الاجتماعية والثقافية والدينية والرياضية، وهي من مقوّمات جمعيات الشبان المسيحية، حيث كان تأسيس الجمعيات التي تشمل الرياضة خاصة في مناهجها أمرٌ مستحدث في العالم الإسلامي الحديث، فالجماعات الإسلامية كانت تلتفّ حول أغراض دينية محضة مركزها المسجد، للثقافة فيها نصيب يعادل نصيب الثقافة من الدين في العرف الإسلامي، وكذلك شأن الاجتماع. ومصطلحات الثقافة والاجتماع والرياضة اكتسبت معنى يقارب المعنى المفهوم عند الغربيين[24]. وعليه، يمكن الاستنتاج أنّ جماعة الإخوان تمثّل خطوة متقدّمة على جمعية الشبان المسلمين، بعدما جعلت أنشطتها شاملة لكافة مناحي الحياة دون أيّ استثناء.

دعوة الإخوان

ولما كان البنّا يسعى إلى تجديد معنى الإسلام في النفوس، بعيداً عما راكمه الزمن من خلافات وتشوّهات وممارسات وانطباعات، فقد كان حريصاً على تبيان حقيقة الإسلام[25]، وما يعتنقه الإخوان من معانٍ على هذا السبيل:

[واسمحوا لي، أيها السادة، أن أستخدم هذا التعبير: إسلام الإخوان المسلمين، ولستُ أعني أنّ للإخوان المسلمين إسلاماً جديداً غير الإسلام

---

(23) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص17.

(24) المصدر نفسه، ص3-4.

(25) انظر: البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص65.

الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ عن ربه، وإنما أعني أنّ كثيراً من المسلمين، في كثير من العصور، خلعوا على الإسلام نعوتاً وأوصافاً، وحدوداً ورسوماً، من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخداماً ضاراً – مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية – فاختلفوا في معنى الإسلام اختلافاً عظيماً، وانطبعت للإسلام في نفوس أبنائه صور عدة، تقرب أو تبعد، أو تنطبق على الإسلام الأول الذي مثّله رسول الله ﷺ وأصحابه خير تمثيل...

هذه الصور المتعددة للإسلام الواحد في نفوس الناس جعلتهم يختلفون اختلافاً بيناً في فهم الإخوان المسلمين وتصوّر فكرتهم. فمن الناس من يتصوّر الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية كلّ همّها أن تتقدّم للناس بالعظات، فتزهّدهم بالدنيا، وتذكّرهم بالآخرة. ومنهم من يتصوّر الإخوان المسلمين طريقة صوفية إنما تعنى بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرّد وزهادة. ومنهم من يظنّهم جماعة فقهية كلّ همّها أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها، وتناضل عنها وتحمل الناس عليها، وتخاصم أو تسالم من لم يسلّم بها معها. وقليل من الناس خالطوا الإخوان المسلمين، وامتزجوا بهم، ولم يقفوا عند حدود الاستماع، ولم يخلعوا على الإسلام إسلاماً يتصوّرونه هم، فعرفوا حقيقتهم وأدركوا كل شيء عن دعوتهم علماً وعملاً][26].

وفي الأشهر الستة الأولى التي سبقت ولادة الجماعة، استعاد البنّا في الإسماعيلية تجربته الناجحة الأولى في القاهرة، فاختار ثلاث مقاهٍ كبيرة تجمع ألوفاً من الناس، وأقام فيها دروساً منتظمة. وفي هذه المدة استطاع أن يدرس مجتمعه الصغير والعوامل المؤثرة فيه، وهي العلماء وشيوخ الطرق والأعيان والأندية، وأن يكسب ودّها جميعاً بتجنّب الجدل في موضوعات الخلاف، والاقتصار على المسائل العامة، وتوجيه النظر إلى الأخطار الداخلية والخارجية، وإزالة أسباب الشقاق بين الأعيان، ثم اختار أن يغيّر طريقته التي بدأ بها نشاطه العام، وأن تكون دعوته عامة، قوامها العلم والتربية والجهاد، ومن أراد بعد ذلك تربية خاصة أي السير في ركاب الطرق الصوفية، فهو وما يختار بنفسه[27]، فلم يُرد البنّا أن يدخل في خصومة مع أبناء الطرق

(26) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص7-8.

(27) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص17-18،

الأخرى، ولا أن تكون الدعوة محصورة في نفر من المسلمين، ولا في ناحية من نواحي الإصلاح الإسلامي[28].

[كان من نتيجة هذا الفهم التام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر الخير من غيرها من الفِكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبي الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها. وتستطيع أن تقول، ولا حرج عليك، إنّ الإخوان المسلمين:

1- دعوة سلفية: لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

2- وطريقة سنية: لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

3- وحقيقة صوفية: لأنهم يعلمون أنّ أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله والارتباط على الخير.

4- وهيئة سياسية: لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل، وتعديل النظر إلى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حدّ.

5- وجماعة رياضية: لأنهم يعنون بجسومهم، ويعلمون أنّ (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف)...

6- ورابطة علمية ثقافية: لأنّ الإسلام يجعل (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)، ولأنّ أندية الإخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف، ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح.

7- وشركة اقتصادية: لأنّ الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه...

8- وفكرة اجتماعية: لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي، ويحاولون

---

(28) البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص78.

الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها][29].

"وإذا كانت الحركة متميزة قطعاً عن جميع الحركات السابقة في تاريخ الإسلام، فلأنّ البنّا متميّز قطعاً عن جميع زعماء هذه الحركات"[30]، كما يقول إسحاق الحسيني، كما أنه "نحا نحواً جديداً في تأليف جماعته، وإقامة أُسسها، وتنظيمها، وتوجيهها، حتى أضحت جماعة ذات طابع خاص لا مثيل له في الحركات الإسلامية السابقة"[31]. وإذا كان النظر في الأحداث التي توالت على مصر من مطلع القرن العشرين إلى سنة 1928، وكذلك في حياة البنّا نفسه، مما يسمح باستخراج البواعث والأسباب التي أدّت إلى نشأة الإخوان[32]، فإنّ تلك العوامل المختلفة كان لها أثرها الجليّ في تميّز الجماعة بخصائص لا تتوافر في حركات سابقة. فقد كان البنّا صوفياً وظلّ صوفياً، ولكنها صوفية خاصة تهدف إلى الإصلاح عن طريق الدين، أو هي ناحية واحدة من نواحي الصوفية تعلّق بها وترك الباقي[33]، ومما اكتسبه البنّا بانتمائه إلى الطريقة الحصافية، وتأثر به كثيراً، أنّ شيخ الطريقة لم يكن يسمح للمتعلمين من أتباعه أن يكثروا الجدل في الخلافيات أو المتشابهات من الأمور أو يردّدوا كلام الملاحدة أوالزنادقة أو المبشّرين مثلاً أمام العامة، وقد اعتبر البنّا هذا التوجه من خير الأساليب الحكيمة في التربية الروحية، واقتبسه في دعوته[34]، كما أنه اصطنع لقب المرشد العام لجماعة الإخوان، وليس غيره من الألقاب، اقتباساً من الأصول الصوفية، حيث يُعرف شيخ الطريقة بلقب الشيخ المرشد، أي إلى طريق السالكين نحو معرفة الله[35].

[فكان من أثر هذه الظروف أن تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التي عاصرتها، ومن هذه الخصائص:

1- البعد عن مواطن الخلاف، فلأنّ الإخوان يعتقدون أنّ الخلاف في

(29) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، 14-15.
(30) الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص40.
(31) المصدر نفسه، ص41.
(32) المصدر نفسه، ص6-7.
(33) المصدر نفسه، ص48.
(34) المصدر نفسه، ص46.
(35) Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, p.116.

الفرعيات أمر ضروري لا بد منه، إذ إنّ أصول الإسلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف في فهمها وتصورها العقول والأفهام، لهذا كان الخلاف واقعاً بين الصحابة أنفسهم، وما زال كذلك، وسيظل إلى يوم القيامة...

2- البعد عن هيمنة الكُبراء والأعيان، فلانصرافهم عن هذه الدعوات الناشئة المجرّدة من الغايات والأهواء إلى الدعوات القائمة التي تستتبع المغانم وتجرّ المنافع ولو في ظنّ الناس لا في حقيقة الحال...وعلى هذا، فقد ظلّ هذا الصنف بعيداً عن الإخوان، اللهم إلا قليلاً من الأكرمين الفضلاء يفهم عنهم فكرتهم ويعطف على غايتهم، ويشارك في أعمالهم، ويتمنى لهم النجاح والتوفيق.

3- البعد عن الهيئات والأحزاب، فلما كان ولا يزال بين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذي لا يتفق مع أخوة الإسلام...لهذا آثرنا أن نتجنب الجميع، وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم، فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان...

4- التدرّج في الخطوات، فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لا بدّ لها من مراحل ثلاث:

أ- مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة، وإيصالها للجماهير من طبقات الشعب.

ب- ثم مرحلة التكوين، وتخيّر الأنصار، وإعداد الجنود، وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين.

ج- ثم بعد ذلك كله، مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج.

وكثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنباً إلى جنب نظراً لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعاً: فالداعي يدعو وهو في نفس الوقت يتخيّر ويربّي، وهو في الوقت نفسه يعمل وينفّذ كذلك. ولكن لا شك في أنّ الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين...

5- إيثار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات: فقد أثارها في نفس

الإخوان ودعا إليها في منهاجهم أمور: منها ما جاء في الإسلام خاصاً بهذه الناحية بالذات، ومخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء فيسرع إليها التلف والفساد. والموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد في إذاعة الخير والأمر به والمسارعة إلى إعلانه ليتعدى نفعه أمر دقيق قلما يتمّ إلا بتوفيق...

6- إقبال الشباب على الدعوة ونموها في كثير من الأوساط التي هي أخصب المنابت للدعوات من الطبقات العاملة والوسطى...بل إنّ كثيراً من طبقات الشعب المؤمنة أقبل على الدعوة، وكان خير معوان في مناصرتها...

7- سرعة انتشار في القرى والمدن: ...الدعوة نشأت في بلدة الإسماعيلية... يغذّيها وينمّيها ما ترى كل صباح ومساء من مظاهر الاحتلال الأجنبي والاستئثار الأوربي بخير هذا البلد: فهذه قناة السويس علة الداء وأصل البلاء، وفي الغرب المعسكر الإنكليزي بأدواته ومعداته، وفي الشرق المكتب العام لإدارة شركة القناة بأثاثه ورياسته وعظمته ومرتباته، والمصري غريب بين كل هذه الأجواء في بلده، محروم وغيره ينعم بخير وطنه، ذليل والأجنبي يعتزّ بما يغتصبه من موارد رزقه. كان هذا الشعور غذاء جميلاً ومَدَداً طيباً لدعوة الإخوان، فبسطت رواقها في منطقة القناة، ثم تخطتها إلى منطقة البحر الصغير، ثم مديرية الدقهلية...وخطت الدعوة إلى القاهرة باندماج (جمعية الحضارة الإسلامية) بدعاتها وأدواتها إلى الإخوان إيماناً بفكرتهم، وإيثاراً للعمل مع الجماعة، وزهادة في الألقاب والأسماء، واحتقاراً لهذه الأنانية الفردية التي أفسدت علينا كل عمل][36].

الاتساع والقوة

وإنّ التنوّع في الأنشطة التي مارسها الإخوان، فضلاً عن المؤسسات التي أنشؤوها، أدى إلى توسيع وعاء الجذب من مختلف الفئات ذات الاهتمامات المختلفة. أما العامل الحاسم وراء توسع حجم الجماعة، أواخر الثلاثينات ومطالع الأربعينات، فكان قدرتها على دمج المنتسبين الجدد، وتحويل الزوار غير الدائمين، إلى متحمسين ملتزمين بقضية الجماعة. وبهذا،

---

(36) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص17-33.

كان الإخوان ناجحين في اجتذاب الأعضاء أكثر من الهيئات السياسية والدينية المنافسة، كحزب مصر الفتاة وجمعية الشبان المسلمين التي كانت لديها صحافة أكثر احترافاً، وشبكة أوسع من الاتصالات في الدوائر السياسية المتنفّذة بالمقارنة مع الإخوان وما لديهم من وسائل وعلاقات[37].
كما يرى الباحث برينيار ليا من ناحية ثانية، أنّه لا يمكن حصر السبب، في الشخصية القيادية الجاذبة لحسن البنّا، وما اتصفت به من بلاغة وزهد وتخلّق بأخلاق الصوفية ومشايخها، لتفسير التوسّع السريع للجماعة، بل إنّ الانتفاضة في فلسطين بين عامي 1936 و1939، والمقاربة السياسية غير التقليدية للجماعة بالمقارنة مع الأحزاب التقليدية، وقدرة البنّا على التأثير في المتعلمين من أبناء الطبقة الوسطى، اجتمعت معاً لتكوّن مع شخصيته المتميزة، ظرفاً ملائماً لهذا الانتشار غير المسبوق[38].

[الإخوان ومصر الفتاة

لقد تكوّنت هذه جماعة الإخوان منذ عشر سنين، وتكوّنت جماعة مصر الفتاة منذ خمس سنين. فجمعية الإخوان تكبر جمعية مصر الفتاة بضعف عمرها تماماً، ومع هذا أيضا شاع في كثير من الأوساط أنّ جماعة الإخوان من شُعَب مصر الفتاة، وسبب ذلك أنّ مصر الفتاة اعتمدت على الدعاية والإعلان في الوقت الذي آثر فيه الإخوان العمل والإنتاج... ولكن الذي أريد أن أنبّه إليه في هذه الكلمة أنّ الإخوان المسلمين لم يكونوا يوماً من الأيام في صفوف مصر الفتاة ولا عاملين لها، ولا أقصد بذلك أن أنال منها أو من القائمين بدعوتها، ولكن أقول تقريراً للواقع...في مصر الفتاة من لا يرى الإخوان إلا جماعة وعظية، وينكر عليهم كل ما سوى ذلك من منهاجهم، وفي الإخوان من يعتقد أنّ مصر الفتاة لم ينضج في نفوس كثير من أعضائها بعد المعنى الإسلامي الصحيح نضجاً يؤهلهم للمناداة بالدعوة الإسلامية خالصة سليمة...وليس معنى هذا أنّ الإخوان سيحاربون مصر الفتاة، بل إنه ليسرّنا أن يوفّق كل عامل للخير وإلى الخير، ولا يحبّ الإخوان أن يخلطوا البناء بهدم، وفي ميدان الجهاد متسع للجميع.

(37) Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, p.162-163.
(38) Ibid.p.120, 235.

بقي أمر أخير ذلك هو موقف الإخوان من مصر الفتاة في قضية تحطيم الحانات، ومعلوم أنه ما من غيور في مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة، وقد ألقى الإخوان تبعة هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه لأنها هي التي أحرجت شعبها المسلم هذا الإحراج، ولم تفطن إلى ذلك التغيير النفساني والاتجاه الجديد القوي الذي طرأ عليه من تقديس الإسلام والاعتزاز بتعاليمه...ونحن نعتقد أنّ هذا التحدي لم يحن وقته بعد، ولا بدّ من تخيّر الظروف المناسبة أو استخدام منتهى الحكمة فيه، وإنفاذه بصور أخف ضرراً وأبلغ في الدلالة على المقصد، كلفت نظر الحكومة إلى واجبها الإسلامي][39] .

وسارت أعمال الإخوان وفق خطط محكمة وبنجاح مطّرد حتى بلغوا ذروة القوة والنفوذ من الناحية البشرية والمادية والعسكرية. وبلغ عدد الأعضاء ما بين 300 و600 ألف عضو من طبقة العمال، عدا الطلبة المثقفين. وقيل إنّ عدد الأعضاء العاملين في مصر وحدها بلغ سنة 1948 حوالي نصف مليون، وبلغ الأعضاء المنتسبون والمؤازرون أضعاف هذا العدد. أما عدد شُعَبهم في مصر وحدها فقيل إنه 1700 شعبة وقيل 2000، وكان لهم في السودان 50 شعبة، عدا شُعبهم في معظم البلدان العربية وبعض البلدان الإسلامية، وعدا الأصدقاء في جميع هذه البلاد، وفي أوروبا وأمريكا، ومن الصعب البتّ في صحة هذه الأرقام لفقدان البينات القاطعة، على أنّ هذا الوضع من القوة والنفوذ، جوبه بمقاومة في غاية العنف من قبل الحكومات المصرية بعد الحرب العالمية الثانية[40].

ويرصد الباحث ليا، استناداً إلى تقارير داخلية لجماعة الإخوان، الإيقاع المتسارع لتوسع أعداد المنتسبين إليها ما بين 1936 و1944، فيقول إنّ شُعَب الإخوان كانت مصنّفة وفق درجات ثلاثة، وإنّ القيادة جعلت من نمو الجماعة واتساع حجمها أولوية قصوى في ذلك الوقت، حيث يبدو أنّ نسبة النمو بعد عام 1936 حافظت على مستواها ما قبل هذا العام، رغم الانشقاقات التي وقعت ما بين عامي 1939 و1940. وعليه، فإنّ عدد الشُعب في النصف الأول

(39) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص63-65.

(40) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص31–32.

من عام 1936 تجاوز المائة على الأقل. وفي حزيران (يونيو) عام 1937، وصل العدد الإجمالي إلى 216 بحسب تقرير رسمي للجماعة، وإن كان معظمها ينتمي إلى الدرجة الثالثة. وفي تقرير منشور في أيار (مايو) 1940، يبدو أنّ العدد وصل إلى 265 شعبة. وخلال 1940 بلغ العدد 500 شعبة، وبعد ثلاث سنوات تراوح العدد ما بين 1000 و1500 شعبة. ثم إنّ التطور كان نوعياً كذلك، فما بين عامي 1937 و1940 تضاعف عدد الشُعَب من الدرجتين الأولى والثانية[41]. لكن عدد المنتسبين في القاهرة والاسكندرية المدينتين الأكبر في مصر، ظلّ محدوداً كمّاً ونوعاً، إلى أن أصبحت الجماعة قوة سياسية مهمة[42].

وأقام الإخوان شركات اقتصادية متنوعة درّت عليهم الأرباح، ومكّنت لهم وسط العمال، وأصدروا جريدة يومية صدر العدد الأول منها في 5 أيار (مايو) 1946، فأضحى صوتهم مسموعاً في مصر والبلاد العربية، وأنشأوا الكتائب وأقاموا أماكن للتدريب على الأعمال العسكرية، ونظّموا الشُّعَب تنظيماً دقيقاً، ووزّعوا الأعمال على الأعضاء[43].

النظام الخاص

لكن تظلّ الأسباب الحقيقية لتشكيل الجهاز العسكري للإخوان والمعروف باسم "النظام الخاص"، ومدى حجمه وتأثيره، محلّ خلاف بين الباحثين، مع العلم أنّ الجماعة لم تكن الوحيدة في تشكيلها جناحاً عسكرياً سرياً، في ظروف الاحتلال البريطاني لمصر، وخاصة بعد قمع ثورة عرابي سنة 1881، فقد كان لحزب الوفد والحزب الوطني أذرعهما العسكرية السرية في العشرينات، والتي تبغي إضعاف قوات الاحتلال. على أنه بدءاً من الثلاثينات، بدا أنّ كبار السياسيين باتوا يتكيّفون مع الأمر الواقع، فراح

(41) Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, p.151-152.

(42) كان في القاهرة عام 1940، ستة شُعب فقط من الدرجة الثانية، ولا وجود لشُعب من الدرجة الأولى، وفي الإسكندرية شُعبة واحدة فقط، ويضاف إلى ذلك، أنّ الجمعية المنافسة للإخوان، وهي جمعية الشبان المسلمين كانت قوية في هاتين المدينتين، المصدر نفسه، 153.

(43) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص30.

الشباب الراديكالي يبحث عن بدائل، فوجده في تشكيلات الإخوان المسلمين ومصر الفتاة، وقد كانت أكثر حدّة في مناهضة الامبريالية. وبدءاً من عام 1937، بدأت الضغوط تتزايد على البنّا لتبني مرحلة التنفيذ، أو المرحلة الثالثة، وبالأخص قبيل المؤتمر الخامس عام 1939، حتى إنّ بعض الأعضاء الأكثر حماساً، تركوا الجماعة أواخر ذلك العام، وظهرت جماعة منافسة هي شباب محمد. لذلك يرى ليا أنّ تشكيل النظام الخاص يمكن أن يكون له هدفان هما إيجاد حلّ لنوازع داخلية في الجماعة، والظهور بمظهر من يستعد للصراع المسلح مع الإنكليز. وأُضيف عاملان مهمان آخران، وهما الرعاية التي جاءت من المستشار الملكي علي ماهر باشا، والدعم المادي من الممثلية الألمانية في القاهرة، بوساطة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني[44].

وحسب محمود عساف المستشار السابق لمجلس إدارة النظام الخاص، فإنّ هذا الجهاز أُنشئ عام 1940، تحت شعار أنّ الحق لا بدّ من أن تحميه قوة، وكان الهدف منه هو مواجهة الإنكليز في الداخل والصهاينة في فلسطين. وكانت فكرة البنّا تقوم على تكوين مجموعة من الشبان المخلصين، أي من صفوة الإخوان، لا يزيد عددهم على عشرين شخصاً، يتلقون تدريباً عسكرياً يشبه تدريب فرق الصاعقة في الجيوش الحديثة، وتكون مهمتهم حماية ظهر الدعوة من أعدائها من الكفار. ولم يكن في فكر البنّا كما يؤكد عساف، أن يقتل مسلماً أو مصرياً يقول لا إله إلا الله، أو يعتدي على منشآت مصرية أو يعمل فيها مصريون.

وكلّف البنّا عبد الرحمن السندي مهمة تكوين هذا النظام، غير أنّ السندي توسّع في العدد شيئاً فشيئاً إلى أن وصل الأمر إلى تهديد الدعوة العامة، مع نقص الدعاة والإخوان المخلصين، وتخلّف الكثيرين عن العمل الميداني لنشر الدعوة، حتى إنّ البنّا راح يفكّر في كيفية تقليص هذا النظام دون أن يؤدي إلى اهتزاز يصيب سير الدعوة ويعطّل مسيرتها، وبخاصة بعد حدثت أخطاء من النظام الخاص بارتكاب أفعال استنكرها البنّا مثل مقتل المستشار الخازندار[45].

---

(44) Lia, The Society of the Muslim Brothers in Egypt, p.177-179.

(45) محمود عساف، مع الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، 1993، ص137. كما =

[مصارحة:

أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجّلون منكم: اسمعوها مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع: إنّ طريقكم هذا مرسومةٌ خطواتُه موضوعةٌ حدودُه. ولستُ مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعتُ كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول...فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقتطف زهرة قبل أوانها، فلستُ معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات...

متى تكون خطوتنا التنفيذية؟

أيها الإخوان المسلمون: نحن هنا في مؤتمر أعتبره مؤتمراً عائلياً يضمّ أسرة الإخوان المسلمين، وأريد أن أكون معكم صريحاً للغاية، فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة: إنّ ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ. يسهل على كثير أن يتخيّلوا، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالاً باللسان. وإنّ كثيرين يستطيعون أن يقولوا، ولكنّ قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمل. وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا، ولكنّ قليلاً منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف. وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تدركهم عناية الله، وفي قصة طالوت بيانٌ لما أقول..

قد يظنّ من يسمع هذا أنّ الإخوان قليل عددهم أو ضعيف مجهودهم،

= يكشف الرئيس المصري السابق أنور السادات، أن تنظيم الضباط الأحرار، وإبان أزمة فلسطين، عقد اجتماعات في بيت حسن البنا، وكان من الضباط الحاضرين جمال عبد الناصر. ونشأت صلات بين تنظيم الضباط والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، ومع الجامعة العربية. وكان الهدف من كل هذا، تكوين تنظيمات مسلحة وتدريبها وإعدادها إعداداً كاملاً بكل ما تحتاج إليه من خبرة ومن سلاح، قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة. انظر: أنور السادات، أسرار الثورة المصرية، بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية، تقديم الرئيس جمال عبد الناصر، كتاب الهلال، العدد 76، دار الهلال، القاهرة، تموز (يوليو)، 1957، ص195.

ولستُ إلى هذا أقصد، وليس هذا هو مفهوم كلامي...ولكن أقصد إلى ما ذكرت أولاً من أن رجل القول غير رجل العمل، ورجل العمل غير رجل الجهاد، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدي إلى أعظم الربح بأقل التضحيات](46).

وكان أعضاء النظام الخاص هم جند الإسلام في حرب فلسطين، حسب تعبير عساف، قبل تدخّل الجيوش، وكان التفاهم تاماً بين قيادة التنظيم والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العليا لتحرير فلسطين، حيث كان الإخوان يجمعون السلاح للهيئة وأنشأؤوا لها محطة إذاعة سرية، فضلاً عن التنسيق مع المفتي فيما يتعلق بالفصائل التي أُرسلت إلى أرض فلسطين لتقاتل العصابات الصهيونية. ومن هذا النظام اقتبس الرئيس جمال عبد الناصر التنظيم الطليعي الذي شكّله في أواخر الستينات، وظلّ بعض أعضائه يحكمون مصر حتى بعد وفاته(47). وكانت فكرة عبد الناصر تتفق – برأي عساف – مع فكرة البنّا، حين شُكّل التنظيم الطليعي ليكون سرياً، وليحمي ظهر الثورة عند اللزوم(48).

[ويتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟

ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة، بل إني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء، فليسمع من شاء. أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته... بل إنّ القوة شعار الإسلام حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة...فالإخوان المسلمون

(46) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص22-25.

(47) يرسم عساف علامات استفهام حول دور عبد الناصر في التلاعب بالنظام الخاص لا سيما وأنه كان عضواً فيه مع عدد من الضباط الأحرار قبل انقلاب 1952، كما أن السندي بعد اغتيال البنا راح يحرّض الإخوان ضد حسن الهضيبي المرشد الثاني، وعاد النظام الخاص إلى الواجهة بعد الانقلاب الناصري. انظر: عساف، مع الإمام الشهيد حسن البنا، ص156.

(48) المصدر نفسه، ص137-139.

لا بدّ أن يكونوا أقوياء ولا بدّ أن يعملوا في قوة. ولكنّ الإخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا في أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يُقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أنّ أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ثم يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، ولا يصحّ أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفكّكة الأوصال، مضطربة النظام، أو ضعيفة العقيدة، خامدة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك.

هذه نظرة، ونظرة أخرى: هل أوصى الإسلام – والقوة شعاره – باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال؟ أم حدّد لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووجّه القوة توجيهاً محدوداً؟

ونظرة ثالثة: هل تكون القوة أول علاج أم أنّ آخر الدواء الكيّ؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟

هذه نظراتٌ يُلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه، والثورة أعنف مظاهر القوة، فنظر الإخوان المسلمون إليها أدق وأعمق، وبخاصة في وطن كمصر جرّب حظه من الثورات فلم يجنِ من ورائها إلا ما تعلمون.

وبعد كل هذه النظرات والتقديرات، أقول لهؤلاء المتسائلين: إنّ الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يُجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صُرَحاء، وسينذرون أولاً، وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح.

وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأنّ الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذا المشاكل، فسيؤدي ذلك حتماً إلى ثورة ليست من عمل

الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح، وليست هذه المشاكل التي تتعقّد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيراً من هذه النُّذُر، فليسرع المنقذون بالأعمال](49).

المرحلية والتدرّج

وإذا كان منهج الإخوان المسلمين شمولياً، وينطلق من بناء الفرد المسلم ويصل إلى إقامة الحكم الإسلامي، لكنه يعتمد على المرحلية والتدرّج. ففي المرحلة الأولى، يتمّ تكوين الفرد، أي الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خُلُقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه. وفي المرحلة الثانية، يتمّ تكوين الأسرة، أي البيت المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خُلُقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه، والعناية بالمرأة كمثل العناية بالرجل، والاعتناء بالطفولة كالاعتناء بالشباب. وفي المرحلة الثالثة، يتمّ تكوين الشعب، أي أن تصل الدعوة إلى كل بيت، وأن تنتشر الفكرة في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار، ثم تأتي المرحلة الرابعة عندما يتمّ تكوين الحكومة الإسلامية التي تقود هذا الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد، كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر من قبل. وعلى هذا، لا يعترف الإخوان بأيّ نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمدّ منه، ولا يعترفون بالأحزاب السياسية، "ولا بهذه الأشكال التقليدية التي أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام" حسب تعبير البنّا. وبعد تكوين الحكومة، يريد الإخوان في مرحلة خامسة، ضمّ كلّ جزء من الوطن الإسلامي الذي فرّقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية. ولهذا، لا يعترفون بهذه التقسيمات السياسية ولا يسلّمون بهذه الاتفاقات الدولية، التي تجعل من الوطن الإسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين، ولا يسكتون على هضم حرية هذه الشعوب

(49) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص37-40.

واستبداد غيرها بها، "فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكلّ شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله، كلّ ذلك وطننا الكبير الذي نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضمّ أجزائه بعضها إلى بعض"[50].

[... الإسلام كما قدّمتُ يعتبر المسلمين أمة واحدة تجمعها العقيدة، ويشارك بعضها بعضاً في الآلام والآمال، وأيّ عدوان يقع على واحدة منها أو على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعاً...الإسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة في ديارهم، سادة في أوطانهم، بل ليس ذلك فحسب، بل إنّ عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول في دعوتهم والاهتداء بأنوار الإسلام التي اهتدوا بها من قبل.

ومن هنا يعتقد الإخوان المسلمون أنّ كل أمة اعتدت وتعتدي على أوطان الإسلام دولة ظالمة لا بدّ أن تكفّ عن عدوانها، ولا بدّ من أن يُعدّ المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين على التخلص من نيرها][51].

ويعقد البنّا مقارنة ملائمة لما كان يمور في زمانه، حيث يقول: "لئن كان الرايخ الألماني يفرض نفسه حامياً لكل من يجري في عروقه دم الألمان، فإنّ العقيدة إسلامية توجب على كل مسلم قوي أن يعتبر نفسه حامياً لكل من تشرّبت نفسه تعاليم القرآن. فلا يجوز في عُرْف الإسلام أن يكون العامل العنصري أقوى في الرابطة من العامل الإيماني. والعقيدة هي كل شيء في الإسلام، وهل الإيمان إلا الحبّ والبغض؟".

وفي مرحلة سادسة، يريد الإخوان "أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حيناً من الدهر، ودوّى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام. فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم، كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام، ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين

(50) حسن البنا، دعوة للشباب، مجموعة الرسائل.

(51) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص66-67.

كما كانتا من قبل. ولئن كان السنيور موسوليني يرى من حقه أن يعيد الإمبراطورية الرومانية، وما تكوّنت هذه الإمبراطورية المزعومة قديماً إلا على أساس المطامع والأهواء، فإنّ من حقنا أن نعيد مجد الإمبراطورية الإسلامية التي قامت على العدالة والإنصاف ونشر النور والهداية ببن الناس"، وأخيراً، وفي المرحلة السابعة، يريد الإخوان على لسان البنّا إعلان الدعوة على العالم، وإبلاغ الناس جميعاً، وأن تعمّ بها آفاق الأرض، وأن يخضع لها كل جبار، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها(52).

الوصول إلى الحكم

ظلّت حركة الإخوان إلى سنة 1939 سائرة على النهج السابق من كتمان وأسرار، ونزول في المساجد، ووعظ فيها وتخيّر للأنصار وتأسيس للفروع بحذر وصمت(53). وفي هذه الأثناء، كان البنّا يقتحم ميدان السياسة مبتدئاً بإلقاء أحاديث دينية اجتماعية في الإذاعة والأندية، فإرسال رسائل إلى رؤساء الوزارات المصرية المتعاقبة من عهد محمد محمود باشا ذي اليد الحديدية إلى النحاس باشا وقيام الحرب العالمية الثانية، على أنّ الإخوان إلى ذلك الحين لم يسترعوا نظر الحكومات، وكان نشاطهم مغلّفاً بالدين فلم يبالِ به الرسميون. وفي عام 1936، رفع البنّا خطاباً إلى الملك فاروق والنحاس باشا وملوك العالم الإسلامي وأمرائه يدعوهم إلى سلوك طريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته، نابذين طريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها. ولم يكن في هذا النشاط كله، من خطب ومقالات ورسائل، استفزاز للدولة. أما موقف الإخوان من الحكومات المصرية فهو عدم التأييد، لأنّ كلّ حكومة تقوم على غير الأصول والقواعد الإسلامية لا يُرجى منها صلاح ولا تستحق تأييداً ولا مناصرة. ولكنهم من جهة أخرى، لا يلجأون إلى العنف ويتعاونون مع الحكومة التي يأنسون منها استعداداً صادقاً لتأييد منهاجهم(54).

(52) حسن البنّا، دعوة للشباب، مجموعة الرسائل.
(53) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص21.
(54) المصدر نفسه، ص23-25.

وكانت مصر في الحقل السياسي، تسير خطوة لترجع خطوات، فقد كان النزاع بين الوفديين والدستوريين عنيفاً يتجاوز أحياناً المصلحة العامة في سبيل المصلحة الحزبية. وكان الوفد يلي الحكم ليطهّر البلاد من خصومه السياسيين لا ليواصل ما بدأوا به أو أسّسوه. ويفعل الدستوريون فعلهم، فيصبح الحكم أشبه بالمنشار يقطع في حركتيْه. وكانت هذه الحالة تثير آلام الشبان الذين أراقوا دماءهم رخيصة في المظاهرات والاضطرابات والذين لا يجنون من أولئك أو هؤلاء أيّ منفعة[55].

[الإخوان المسلمون والحكم

ويتساءل فريق آخر من الناس: هل في منهاج الإخوان المسلمين أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضاً في حيرة، ولا نبخل عليهم بالجواب. فالإخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم علي هدي الإسلام الحنيف كما فهموه، وكما أبانوا عن فهمهم هذا في أول هذه الكلمة. وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد...والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفكّ واحد منها عن الآخر. والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً، يقرّر الأحكام ويرتّل التعاليم ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره، فإنّ النتيجة الطبيعية أنّ صوت هذا المصلح سيكون صرخة في وادٍ ونفخة في رماد كما يقولون.

قد يكون مفهوماً أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاء لأوامر الله وتنفيذاً لأحكامه وإيصالاً لآياته ولأحاديث نبيه ﷺ، أما والحال كما نرى: التشريع الإسلامي في وادٍ والتشريع الفعلي في وادٍ آخر، فإنّ قعود المصلحين الإسلاميين عن

(55) المصدر نفسه، ص12.

المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفّرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

هذا كلام واضح لم نأتِ به من عند أنفسنا، ولكننا نقرّر به أحكام الإسلام الحنيف. وعلى هذا، فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني، فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفّذ أوامر الله.

وعلى هذا، فالإخوان المسلمون أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلا بدّ من فترة تُنشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

... ليس أعمق في الخطأ من ظنّ بعض الناس أنّ الإخوان المسلمين كانوا في أيّ عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات، أو منفّذين لغاية غير غايتهم، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان ومن غير الإخوان][56].

نبذ الحزبية

لقد تبنى الإخوان منهجاً تقدمياً شعبياً – حسب تعبير الحسيني – في وقت كانت فيه الحكومات المتعاقبة قائمة على أسس حزبية لا على مناهج واضحة مدروسة، وكان الذي تبنَّوْه أخلَق بحكومة منه بهيئة تتسم بالسمة الدينية، وقد أدركوا هذه الميزة من ناحيتهم والضعف من ناحية الحكومات فراحوا في كل مناسبة يهاجمون النظام الحزبي الذي لا منهاج واضحاً له، وينتقدون جميع الأحزاب على السواء، ويدعون إلى حلّها وتبني منهاجهم كله، بدلاً من النظام الحزبي. ولو أنّ الإخوان المسلمين – حسب الحسيني – كانوا حزباً سياسياً محضاً بالمعنى الصحيح مقتصراً على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكان لهم شأن غير هذا الشأن[57].

(56) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص41-43.

(57) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص156-157.

واعتبر البنّا في هذا السياق، أن ليس من الضرورة أن يقوم النظام البرلماني على أحزاب، لأنه يمكن تطبيقه بدون هذه الحزبية وبدون إخلال بقواعده الأصلية. ولاحظ أنّ "الحكم النيابي في أعرق مواطنه لم يقم على هذه الحزبية المسرفة، فليس في إنكلترا إلا حزبان هما اللذان يتداولان فيها الأمر، وتكاد تكون حزبيتهما داخلية بحتة، وتجمعهما دائماً المسائل القومية المهمة، فلا تجد لهذه الحزبية أثراً البتة، كما أنّ أمريكا ليس فيها إلا حزبان، كذلك لا نسمع عنهما شيئاً إلا في مواسم الانتخابات. أما فيما عدا هذا فلا حزبية ولا أحزاب، والبلاد التي تطوّرت في الحزبية، وأسرفت في تكوين الأحزاب ذاقت وبال أمرها في الحرب والسلم على السواء، وفرنسا أوضح مثال لذلك. وإذا كان الأمر كذلك، وكانت وحدة الأمة أساساً في النظام الاجتماعي الإسلامي، ولا يأباه النظام النيابي، فإنّ من الواجب أن نتحوّل سريعاً إلى الوحدة بعد أن أهلكت الحزبية في مصر الحرث والنسل". وبحسب رأي البنّا فقد "انعقد الإجماع على أنّ الأحزاب المصرية هي سيئة هذا الوطن الكبرى، وهي أساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الآن، وأنها ليست أحزاباً حقيقية بالمعنى الذي تعرف به الأحزاب في أي بلد من بلاد الدنيا، فهي ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة، اقتضت الظروف في يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها القومية، كما انعقد الإجماع على أنّ هذه الأحزاب لا برامج لها ولا مناهج، ولا خلاف بينها في شيء أبداً إلا في الشخصيات"، ولا مناص بعد الآن – كما استخلص البنّا – من أن تحلّ هذه الأحزاب جميعاً، وتُجمع قوى الأمة في حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريته، ويضع أصول الإصلاح الداخلي العام، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق في التنظيم في ظلّ الوحدة التي يفرضها الإسلام[58].

[الإخوان المسلمون والأحزاب

...هذه الأحزاب لم تحدّد برامجها ومناهجها إلى الآن، فكلّ منها يدّعي أنه يعمل لمصلحة الأمة في كل نواحي الإصلاح، ولكن ما تفاصيل هذه الأعمال، وما وسائل تحقيقها؟ وما الذي أعدّ من هذه الوسائل؟ وما العقبات

(58) حسن البنا، نظام الحكم، مجموعة الرسائل.

التي ينتظر أن تقف في سبيل التنفيذ؟ وما أعدّ لتذليلها؟ كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الأحزاب وإدارات الأحزاب، فهم قد اتفقوا في هذا الفراغ، كما اتفقوا في أمر آخر هو التهالك على الحكم وتسخير كل دعاية حزبية، وكل وسيلة شريفة، وغير شريفة، في سبيل الوصول إليه، وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه.

...كما يعتقد الإخوان أنّ هناك فارقاً بين حرية الرأي والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصيحة، وهو ما يوجبه الإسلام، وبين التعصب للرأي، والخروج على الجماعة، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة وزعزعة سلطان الحكام، وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرّمه أشد التحريم، والإسلام في كل تشريعاته إنما يدعو إلى الوحدة والتعاون.

هذا مجمل نظرة الإخوان إلى قضية الحزبية والأحزاب في مصر، وهم لهذا قد طلبوا إلى رؤساء الأحزاب منذ عام تقريباً أن يطرحوا هذه الخصومة جانباً وينضم بعضهم إلى بعض، كما اقترحوا التوسط في هذه القضية على الأميرين الجليلين صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي وصاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون، كما التمسوا من جلالة الملك حلّ هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعاً في هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام][59].

الدستور والقوانين

ودعا البنّا الحكومات المصرية المتعاقبة إلى أن تعود إلى الإسلام في نظام حياتها الإسلامية والمدنية، كما طالب بذلك كلّ الحكومات العربية والإسلامية، معتبراً أنّ الفكرة الإسلامية ظفرت بالتقدير الكامل في مؤتمر لاهاي سنة 1938، حيث قرّر المؤتمر أنها شريعة مستقلة قابلة للتطور والنماء متفقة مع أحدث قواعد التشريع. كما ظفرت بهذا التقرير مرة ثانية في مؤتمر واشنطن أيار (مايو) 1945 الذي مثّل مصر فيه وزير العدل حافظ

(59) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص41-43.

باشا رمضان، حيث استطاع الحصول من المؤتمرين على قرار يؤكد القرار السابق، ويحفظ لمصر بناء على ذلك الحق في أن يكون لها ممثل في محكمة العدل الدولية باسم الشريعة الإسلامية، وذلك لأنّ الإسلام في ذاته نظام اجتماعي عالمي، يكفل للناس الخير والسعادة، ويحلّ لهم ما في مجتمعهم من مشكلات لو نفذوا إلى روحه وأنفذوه علي وجهه، ولا سيما أنّ الدستور المصري قرّر في المادة 149: (إنّ دين الدولة الإسلام ولغتها الرسمية اللغة العربية). ورأى البنّا أنه من المظاهر العملية لذلك:

1 – أن تعلن الحكومة المصرية أنها حكومة إسلامية تمثل فكرة الإسلام دولياً تمثيلاً رسمياً.

2 – أن تحترم فرائضه وشعائره، وأن تُلزم بأدائها كلّ موظفيها وعمّالها، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة لغيرهم.

3 – أن تحرّم الموبقات التي حرّمها الإسلام من الخمر وما يلحق بها، ومن الزنا وما يمهّد له، والربا وما يتصل به من أنواع القمار والكسب الحرام، وأن تكون الحكومات قدوة في ذلك فلا تبيح شيئاً من هذا، ولا تعمل على حمايته بسلطة القانون، ولا تتعامل مع شعبها على أساسه.

4 – أن تجدّد مناهج التعليم بحيث تقوم علي التربية الإسلامية والوطنية، ويعنى فيها باللغة العربية والتاريخ القومي عناية فائقة، فتؤدي إلى طبع نفوس المتعلمين بتعاليم الإسلام وتثقيف عقولهم في أحكامه وحكمه.

5 – أن تكون الشريعة الإسلامية المصدر الأول للقانون.

6 – أن تصدر الحكومات عن هذا التوجيه الإسلامي في كلّ التصرفات[60].

[الإخوان المسلمون والدستور

...الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستوري التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكلّ أنواعها، وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة، وعلى مسؤولية الحكام أمام الشعب، ومحاسبتهم على ما

(60) حسن البنا، مجموعة الرسائل.

يعملون من أعمال، وبيان حدود كل سلطة من السلطات. هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كلّ الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم. ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أنّ نظام الحكم الدستوري هو أقرب نُظُم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظاماً آخر.

...من نصوص الدستور المصري ما يراه الإخوان المسلمون غامضاً مبهماً يدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والأهواء، فهي في حاجة إلى وضوح وإلى تحديد وبيان، هذه واحدة، والثانية: هي أنّ طريقة التنفيذ التي يطبّق بها الدستور، ويُتوصّل بها إلى جني ثمرات الحكم الدستوري في مصر، طريقة أثبتت التجارب فشلها وجنت الأمة منها الأضرار لا المنافع، فهي في حاجة شديدة إلى تحوير وإلى تعديل يحقّق المقصود ويفي بالغاية...لهذا يعمل الإخوان المسلمون جهدهم حتى تحدّد النصوص المبهمة في الدستور المصري، وتعدّل الطريقة التي ينفّذ بها هذا الدستور في البلاد...

الإخوان المسلمون والقانون

...إنّ الإسلام لم يجئ خلواً من القوانين، بل هو قد أوضح كثيراً من أصول التشريع وجزئيات الأحكام، سواء أكانت مادية أم جنائية، تجارية أم دولية، والقرآن والأحاديث فيّاضة بهذه المعاني، وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحي، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة، وأقرّها مؤتمر لاهاي الدولي أمام ممثلي الأمم من رجال القانون في العالم كله. فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون في أمة إسلامية متناقضاً مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها، مصطدماً كل الاصطدام بما جاء عن الله ورسوله...على أنّ هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه تصطدم بالدستور الوضعي نفسه الذي يقرّر أنّ دين الدولة هو الإسلام، فكيف نوافق بين هذين يا أولى الألباب؟ وإذا كان الله ورسوله قد حرّم الزنا وحظر الربا ومنع الخمور وحارب الميسر وجاء القانون يحمي الزانية والزاني، ويُلزم بالربا، ويبيح الخمر، وينظّم القمار، فكيف يكون موقف المسلم بينهما؟ أيطيع الله ورسوله ويعصي الحكومة وقانونها والله خير وأبقى؟ أم يعصي الله ورسوله ويطيع الحكومة، فيشقى في الآخرة والأولى؟

نريد الجواب على هذا من رفعة رئيس الحكومة ومعالي وزير العدل ومن علمائنا الفضلاء الأجلاء]‏[61].

الوطنية والقومية

وناقش البنّا تكراراً مصطلح الوطنية وما يعنيه، نافياً التناقض بينه وبين الإسلام، وقال: "من يظنّ أنّ الإخوان المسلمين يتبرّمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم، وتفانياً في خدمة هذه الأوطان. ولكنّ الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجرّدة أنّ أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية، ولا يقفون بهذا الشعور عند الحدود الجغرافية، بل يشركون معها فيه كلّ أرض إسلامية، وكلّ وطن إسلامي، على حين يقف كل وطني مجرّد عند حدود أمته ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده. وحسبُك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أنّ التفريط في أيّ شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا[62].

ويقول البنّا إنه إذا قُصد بالقومية أنّ عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبرّه، وأحقهم بإحسانه وجهاده فهو حق كذلك، أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست، وإقامة ذكريات بائدة خلت وتعفية حضارة نافعة استقرّت، والتحلّل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس، كما فعلت بعض الدول في المغالاة بتحطيم مظاهر الإسلام والعروبة، حتى الأسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة، فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة وسيئ المغبة. وكذلك أن يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى، والعدوان عليها، والتضحية بها في سبيل عزة أمة وبقائها، كما تنادي بذلك ألمانيا وإيطاليا مثلاً، بل كما تدّعي كلّ أمة تنادي بأنها فوق الجميع، فهذا معنى ذميم كذلك وليس من

---

(61) المصدر نفسه، ص44-49.

(62) حسن البنّا، دعوة للشباب، مجموعة الرسائل.

الإنسانية في شيء، ومعناه أن يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الأوهام لا حقيقة له ولا خير فيه[63].

[الإخوان والقومية والعروبة والإسلام

كثيراً ما تتوزّع أفكار الناس في هذه النواحي الثلاثة: الوحدة القومية والوحدة العربية والوحدة الإسلامية، وقد يضيفون إلى ذلك الوحدة الشرقية ثم تنطلق الألسنة والأفكار بالموازنة بينها وإمكان تحققها أو صعوبة ذلك الإمكان، ومبلغ الفائدة أو الضرر منها والتشيّع لبعضها دون البعض الآخر. فما موقف الإخوان المسلمين من هذا الخليط ومن الأفكار والمناحي، ولا سيما وكثير من الناس يغمزون الإخوان المسلمين في وطنيتهم ويعتبرون تمسكهم بالأفكار الإسلامية مانعاً إياهم من الإخلاص للناحية الوطنية؟

... كان المسلم أعمق الناس وطنية، وأعظمهم نفعاً لمواطنيه، لأنّ ذلك مفروض عليه من رب العالمين، وكان الإخوان المسلمون بالتالي أشد الناس حرصاً على خير وطنهم وتفانياً في خدمة قومهم، وهم يتّمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد وكل تقدم ورقي، وكل فلاح ونجاح، وبخاصة وقد انتهت إليها رياسة الأمم الإسلامية بحكم ظروف كثيرة تضافرت على هذا الوضع الكريم.

... كانت وحدة العرب أمراً لا بدّ منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها.

... بقي علينا أن نحدّد موقفنا من الوحدة الإسلامية، والحق أنّ الإسلام كما هو عقيدة وعبادة، هو وطن وجنسية، وأنه قد قضى على الفوارق النسبية بين الناس وأنه قضى على الفوارق النسبية بين الناس...فالإسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية، ولا يعتبر الفروق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامي وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده.

---

(63) حسن البنا، دعوتنا، مجموعة الرسائل.

... الإخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود، ولا يرون بأساً بأن يعمل كل إنسان لوطنه، وأن يقدّمه للوطن على سواه، ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض، ثم هم يعملون للجامعة الإسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامي العام، ولي أن أقول بعد هذا: إنّ الإخوان يريدون الخير للعالم كله، فهم ينادون بالوحدة العالمية، لأنّ هذا هو مرمى الإسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107][64].

عودة الخلافة

وحين يقرأ البنّا عوامل تداعي الدولة الإسلامية عبر التاريخ، فإنه يحثّ بذلك على تجنب الأمراض والأعراض، تمهيداً لاستعادة دولة الخلافة الضائعة، وهو يرى أنّ أهم تلك العوامل: الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه، مع التحذير الشديد الذي جاء به الإسلام في ذلك والتزهيد في الإمارة، والخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، والجمود والتعصب للآراء والأقوال، والولع بالجدل والمناظرات والمراء، والانغماس في ألوان الترف والنعيم، والإقبال على المتعة والشهوات، حتى أُثر عن حكام المسلمين في كثير من العصور ما لم يؤثَر عن غيرهم، انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب، من الفرس تارة، والديلم تارة أخرى، والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه، وإهمال العلوم العملية والمعارف الكونية، وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة، مع أنّ الإسلام يحثهم على النظر في الكون واكتناه أسرار الخلق والسير في الأرض، ويأمرهم أن يتفكروا في ملكوت الله. ومن تلك العوامل أيضاً، غرور الحكام بسلطانهم، والانخداع بقوتهم، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم،

(64) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص50-55.

حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غِرّة، والانخداع بدسائس المتملّقين من خصومهم، والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم، والاندفاع في تقليدهم فيما يضرّ ولا ينفع، مع النهي الشديد عن التشبّه بهم، والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الإسلامية(65).

[الإخوان المسلمون والخلافة

... الإخوان يعتقدون أنّ الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكّر في أمرها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله، ولهذا قدّم الصحابة رضوان الله عليهم النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ﷺ ودفنه، حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها...

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم، وهم مع هذا، يعتقدون أنّ ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بدّ منها، وأنّ الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لا بدّ أن تسبقها خطوات، ولا بدّ من تعاون تام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الإسلامية كلها، يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات، وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد، وأنّ المؤتمر البرلماني الإسلامي لقضية فلسطين، ودعوة وفود الممالك الإسلامية إلى لندن للمناداة بحقوق العرب في الأرض المباركة لظاهرتان طيبتان وخطوتان واسعتان في هذا السبيل، ثم يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية، حتى إذا استوثق ذلك للمسلمين كان عنه الاجتماع على (الإمام) الذي هو واسطة العقد، ومجتمع الشمل، ومهوى الأفئدة، وظل الله في الأرض](66).

الإفادة من الغرب

ولعلّ أشقّ عمل اضطلع به البنّا واقتضاه تركيز جميع مواهبه وكشف بالتالي عن ذكائه هو محاولته في جميع خطبه ومقالاته كما يقول الحسيني،

(65) حسن البنا، مجموعة الرسائل.
(66) من خطب حسن البنا، الحلقة الأولى، ص56-57.

أن يثبت أنّ الإسلام عُني بجميع ما عُنيت به الحركات السياسية المعاصرة كالنازية والشيوعية، مع زيادة دائماً مثل الأمل والعزة والقومية والقوة والخُلُق القويم، ومحاولة إثباته أنّ الحضارة الإسلامية جمعت محاسن جميع الحضارات، وفاقت عليها وبرئت من نواقصها[67]. ورأى البنّا إيجابيات ما فعله هتلر وموسوليني في ألمانيا وإيطاليا، من صعود في مدارج الصلاح في الداخل والقوة والهيبة في الخارج، وكذلك روسيا السوفياتية، لكنه أشار أيضاً إلى خطورة فناء إرادات الأفراد في إرادات الزعماء، فتخطئ الأمم حين يخطئ زعماؤها[68] .

ويرى الحسيني أنّ البنّا كان بارعاً كل البراعة في التوفيق بين مبادئ الإصلاح الاجتماعي التي وصلت إليها الأمم الغربية بعد طول التجربة والدرس وبين مبادئ الدين. واستطاع البنّا بذكائه أن يضع دعوته بين نظامين هما النازية الفاشستية والشيوعية، كما أنه سفّه النظامين وحمل عليهما حملات شعواء، فهو سفّه النازية لأنها تقوم على الجنسية، وتؤدي إلى تناحر الأجناس البشرية في سبيل وهم من الأوهام، وسفّه الشيوعية لأنها تقوم على هدم الأديان وشيوع الملكية ونزع الملكية الفردية، كما أنه بالمقابل، درس النظامين واستفاد منهما، أخذ من الأول النظام والطاعة، أو شيئاً يشبه الديكتاتورية وحصره بنفسه، وأخذ من الثاني التكافل بين الطبقات والأخوة الإنسانية في الدنيا دون تمييز بين شعب وآخر[69]، واعتبر البنّا هذه المظاهر مجرد اتفاق ظاهري، لكن الواقع أنها أصلاً من أحد المذاهب الغربية، ولكن لا يصحّ أن يُفهم كما يقول الحسيني أنّ البنّا كان اشتراكياً بالمعنى الغربي. لقد كان مسلماً أولاً وآخراً، لكنه وجد هذه المبادئ تدخل في الإطار الإسلامي العام. وبحسب الحسيني فإنّ البنّا عرف كيف يلائم بين هذه الاشتراكية وبين الدين، أو عرف كيف يصبغ الاشتراكية

---

(67) الحسيني، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، ص54.

(68) حسن البنا، اتجاه النهضة الجديدة في العالم الإسلامي، مجموعة الرسائل.

(69) يرد على هذا الاستنتاج، أنّ مبدأ الطاعة قائم في الطرق الصوفية، والبنا كان مريداً في إحداها، فلا حاجة لاستيراده من الحركات النازية والفاشية، كما أنّ الإسلام سبق النظريات الغربية فيما يتعلق بالتكافل والتضامن وعدم التمييز بين الشعوب، ولا معنى للقول إنّ البنا استقاه من الشيوعية.